مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد07 / العـدد: 02 (2021)، ص 109 - 124

الإباضية: دراسة في المجال العقدي السياق التاريخي والتجليات الفكرية

Ibadites: a study in the nodal field, the historical context and intellectual manifestations

أ. حمامد محمد[1*]
جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، mohammed.hemamed@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/27 تاريخ القبول: 2021/09/10 تاريخ النشر: 2021/12/20

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية مسائل الأصول العقدية للمذهب الاباضي، وقد اقتضت الدراسة أن نرصد أهم المحطات التاريخية لنشأة المذهب الاباضي من جهة، ثم الوقوف على المبادئ العقدية من جهة ثانية. ولبلوغ مقاصد هذا البحث تم اعتماد خطة بحث ترتكز على منهج تحليلي للأفكار للمذهب من خلال أهم المصادر الإباضية، وعبر إشكالية تتمحور حول ظروف نشأة المذهب الاباضي ومدى تأثير موروثه الديني-الثقافي على الحياة الفكرية ببلاد الغرب الإسلامي.

كلمات مفتاحية: الخوارج ، الإباضية، الاعتزال، ابن أباض ، أصول الدين ، الفقه ، الربيع بن حبيب.

Abstract:

This paper deals with the issues of the origins of the Ibadi doctrine. The study tries to observe the most important historical stations of the emergence of the Ibadi doctrine, on the one hand. On other hand, it examines the doctrinal principles. In order to achieve the objectives of this research, the paper is planned as following, we adopted the analytical approach to the doctrinal ideas It is taken in consideration the most important Ibadi sources and through a problem centred on the circumstances of the emergence of the Ibadi doctrine and the extent to which its religious-cultural heritage affects intellectual life in the Islamic West

Keywords: Kharijites ;Ibadis ; Retirement ; Ibn Abad ; Fundamentals of Religion ; Jurisprudence; Rabi 'ibn Habib.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

جاء الإسلام يدعو أتباعه بالإجتماع على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ فهو دين الوحدة والتوحيد، ورص صفوف الأمة على أساس الاجتماع ونبذ الخلاف، محذراً من التفرقة والتحزب.

وقد أكدت آيات القرآن الكريم في كثير من المواضع على ضرورة التمسك بحبل الله المتين وعدم التنازع والاختلاف كقوله تعالى سورة آل عمران: الآية 103. :" وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا". وقوله عز وجل : " أَنْ أَقِيمُوا الدِّين وَلَا تتَفَرَّقُوا فِيهِ". سورة الشورى: الآية 13.

كما وردت العديد من الأحاديث النبوية التي تنهى عن الفرقة والاختلاف كقوله ﷺ في حجة الوداع (مسلم، 2004: ص 243) : "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض." وقوله أيضا" سباب المسلم فسوق وقتاله كفر."(مسلم، 2004: ص241)

ورغم هذه التحذيرات والأوامر إلا أن المسلمين اختلفوا بعد وفاة الرسول ﷺ ولكنهم لم يفترقوا ويتنازعوا. وفي ذلك كله لم يصل الأمر إلى حد التنازع في الدين ولا الافتراق والخروج على الجماعة ولم يبغ بعضهم على بعض. (العقل، 1997: ص116)

2. ذكر الفرق:

اختلف المسلمون أصنافا عديدة ذكر منها أبو الحسن الأشعري (ت 330ه) (الحسن، 1990: ص 65-66): "الشيع، المرجئة، المعتزلة (الرازي: 1982،ص39)، الجهمية (البغدادي، 1988: ص 186)، أصحاب الحديث والخوارج منها الإباضية، وتفرعت هذه الأصناف إلى فروع."

وصنف البغدادي (ت429ه/1037م) (البغدادي، 1988:ص72) الخوارج إلى: "عشرين فرقة ذكر منها المحكمة الأولى (الرازي، 1982: ص46) الأزارقة (الأندلسي، 1982: ص311) النجدات (الرازي، 1982: ص 47) الصفرية والإباضية وغيرها. والإباضية منهم افترقت فرقا، وأن الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها اكفار علي وعثمان والحكمين

وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين والاكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر."

1.1 فرقة الخوارج وعلاقة الإباضية بها:

الخوارج في التاريخ اسم لطائفة أو لطوائف كانت بايعت علي بن أبي طالب بالخلافة ثم خرجت عنه ونقضت بيعتها في قضية التحكيم المشهورة. (الجيلالي،1965: ص 201)

وبهذا أعتبر الخوارج حزبا سياسيا وفرقة دينية، اختلف الناس في سبب تسميتهم بالخوارج، فيرى المخالفون لهم من كتاب الفرق أنهم سموا "خوارج" لخروجهم عن الناس أو الدين أو عن الحق أو عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- (عرفان، 1967: ص 66)

نشأ هذا الحزب حسب معروف أحمد (سليمان، 1988: ص 18) : "في صدر الإسلام وفي زحمة الصراع على الخلافة، وعلى وجه التحديد هم الفئة التي خرجت على الخليفة الراشدي الرابع علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه."

لاشك أن مسألة التحكيم كانت السبب الرئيسي في ظهور فرقة الخوارج على الساحة الإسلامية بين علي ومعاوية –رضي الله عنهما - فبعد أن كان المسلمون يقول الشهرستاني ت 548هـ (الشهرستاني، 1992: 106-107)"فريقين أهل العراق يقودهم علي، وأهل الشام يقودهم معاوية، ظهر فريق ثالث وهم المحكمة. وقالوا لعلي: لما حكمت الرجال. لا حكم إلا لله وهم المارقة (الشهرستاني، 1992: 107-108) الذين اجتمعوا بالنهروان" (ياقوت، 1977: ص324- 325).

وقد كانت موافقة علي على التحكيم الباعث الأول لظهور الخوارج فقد كان في معسكر الخليفة بعض المسلمين المتعصبين، الذين رأوا أن الفصل في موضوع خلافة النبي لا يصح أن يوكل إلى البشر، بل ينبغي الاحتكام إلى الحرب والكفاح وسفك الدماء. (جولد، 2013: ص 190-191)

يومئذ تكونت بذرة الخارجية في الإسلام وأصبحت بعد ذلك فكرة مستقلة ومبدأ سياسيا خاصا. ثم تطورت إلى عقيدة دينية وطريقة متبعة، ثم كانت مذهبا مدونا بأصوله وفروعه عقيدة وفقها ثم نشأت عنها فرق كثيرة (الجيلالي، 1965: ص 202).

وقد تصور الخوارج إمكانية بناء مجتمع إنساني مثالي يسوده العدل المطلق ويخلو من الفروق الطبقية ويصير الناس فيه إلى أخوة الإسلام الأولى وسماحته ... وهذه النزعة انتهت بهم إلى جمود فكري وتعصب عقدي فتح الطريق لنمو النزعات المتطرفة الهدامة في صفوفهم. (عرفان، 1967: ص 68- 69)

يقول معروف أحمد (سليمان، 1988: ص 124): "واجتذبوا إلى صفوفهم بهذه الديمقراطية الفقراء المضطهدين والمتعطشين للثورة، فئات تحن إلى العدل والمساواة."

أما عن صلة الإباضية بالخوارج، ففي رسالة عبد الله بن أباض إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت 86ه) شرح لذلك يقول: وكتبت إلى تعرض بالخوارج تزعم أنهم يغلون في دينهم ويفارقون أهل الإسلام وتزعم أنهم يتبعون غير سبيل المؤمنين، وإنني أبين لك سبيلهم: أنهم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من تغيير السنة وفارقوه حين ترك حكم الله وعصى ربه. وهم أصحاب علي بن طالب حينما حكم عمرو بن العاص وترك حكم الله وأنكروه عليه وفارقوه فيه... فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة... فهذا خبر الخوارج وأنا لمن والاهم أولياء، بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، على ذلك نعيش ما عشنا ونموت على ذلك إذا متنا (علماء عمان، 1988: ص 341- 342).

إنه الالتزام الدقيق بروح المحكمة الأولى كما يطرحها ابن أباض في رسالته والتي تمثل مدخلا لعقيدة أرادها امتدادا لسنة الرسول ﷺ ولخليفتيه أبي بكر وعمر وبهذا يعتبر الإباضية الممثلون الشرعيون لعقيدة الخوارج. (قوجة، 2014: ص 12)

تجدر الإشارة أن للخوارج أسماء عديدة يقبلون بعضها ويرفضون البعض الآخر ومن تلك الألقاب: الخوارج، المحكمة، الحرورية (الشهرستاني، 1992: ص107) والمارقة وغيرها

.2.2 تعريف فرقة الإباضية:

الإباضية هي تلك الفرقة المعتدلة من الخوارج، ظهرت في أواخر الدولة الأموية، وهي تؤمن بالقرآن والحديث مصدراً للتشريع مع القول بالرأي وبالقياس، واعتبرت أبا بكر وعمر قدوة بعد الرسول محمد ﷺ (عدنان، 2007: ص253)

تنسب الإباضية إلى عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة رهط الأحنف بن قيس التيمي. وهو من طبقة التابعين عاصر معاوية بن أبي سفيان (40-61ه) وأدرك عبد الملك ابن مروان. فنسبة الإباضية إلى عبد الله بن أباض من الأمور التي لا يختلف عليها الإباضيون ولا غيرهم من أصحاب المقالات الأخرى باستثناء قلة قليلة من المؤرخين لا يعتد بها. (حسن، 2011: ص56- 57)

وهذا ما ذهب إليه سالم الحارثي في قوله : (الحارثي، 2017: ص131) "الإباضيون منسوبون إلى إمامهم في الدين عبد الله بن أباض، وهو الذي فارق جميع الفرق الضالة عن الحق ... وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقاداتهم بالحجج القاهرات والآيات المحكمات"

ولعل ما ورد في رواية ابن حزم (ت456ه/1064م) ما يؤكد ذلك حيث يقول (الأندلسي، 1982: ص218): "منهم عبد الله بن أباض الخارجي رئيس الإباضية"

ويعتبر المنصف قوجة الإباضية (قوجة، 2014: ص12-13): "هم الممثلون الشرعيون لعقيدة الخوارج أي المحكمة الأولى الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وعلى معاوية. وقد عرف الإباضية بصرامتهم العقائدية ومرونتهم السياسية، لذلك نعتهم الباحثون والمؤرخون بالمعتدلين".

ظهرت فرقة الاباضية بالبصرة بعد انقسام المحكمة، وذلك عندما حث ابن الأزرق القعدة من الخوارج على قتال مخالفيهم في رسالته التي كتبها إلى زعمائهم ومنهم عبد الله ابن أباض. (حجازي، 2000: ص 03)

وردت الرسالة في كتاب أخبار الخوارج حيث يقول المبرد: (المبرد، 2005: ص 88) "بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وقد ندبكم الله إلى الجهاد فقال تعالى: "وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِين كَافَّةً" سورة التوبة: الآية 36. ولم يجعل في التخلف عُذراً في حال من الأحوال فقال: "انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا." سورة التوبة: الآية 41. وإنما عُذر الضعفاء والمرضى ... ثم فضل عليهم في ذلك المجاهدين فقال:"لَايَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيل اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ" سورة النساء: الآية 95. قال ابن أباض – بعد أن قرأ الكتاب- قاتله الله أي رأي رأى صدق نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وحكماً ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول. إن القوم كفار بالنعم والأحكام وهم براء من الشرك. (الطبري، 1971: ص 568)

من الثابت أن ابن أباض لم يقتنع بالخروج وأنه فارق ابن الأزرق وأتباعه وبدأ فصل جديد في تطور حركة الخوارج تميز بالفرقة والنزاع وتكفير بعضهم بعضاً وانقسموا قسمين: أحدهما غالٍ متطرف والآخر مسالم معتدل. (خليفات، 2002: ص 87)

ويرى ابراهيم بحاز (بحاز، 1993: ص 74) أنه "وابتداء من هذا التاريخ –أي 64هـ- انقسم الخوارج إلى متطرفين ومعتدلين. فكان في الجانب الأول الأزارقة والنجدية وفي الجانب الثاني الإباضية والصفرية" (الرازي، 1982: ص 51).

وعلى أي حال فإن المصادر تدعي بأنه في هذه الفترة التي تزعم فيها ابن أباض حركة المعارضة ضد متطرفي الخوارج تكونت الفرقة الإباضية ونسبت إلى ابن أباض نفسه واعتبرته رئيس الفرقة ومؤسسها.

وأول من أطلق عليهم اسم الإباضية هم الخلفاء الأمويون في زمن عبد الملك ابن مروان، نسبهم الأمويون إلى عبد الله بن أباض (دبوز، 2010: ص 363). على أن الإباضية المتأخرين ينكرون أن يكون مذهبهم مذهباً خارجيا أشد الإنكار ويتبرأون من الخوارج أشد البراءة معارضين في ذلك ما كتبه أصحاب المقالات وما كتبه المؤرخون

القدماء والمحدثون مما تواتر نقله إلى عصرنا هذا. فرفضوا أن يطلق لفظ الخوارج على الإباضية. إن الواقع التاريخي يثبت لنا أن الإباضية فرقة من فرقة الخوارج وعبد الله بن أباض نفسه كان من الخوارج ثم اختلف معهم، كما اختلف معهم غيره من رؤوس فرق الخوارج المتعددة والدليل على ذلك أن الإباضية تتولى المحكمة الأولى وخاصة عبد الله بني وهب الراسبي (الأزكوي، 2013: ص 394) وتعتبره_إماماً للدفاع أو الظهور تبعا لاختلاف فقهاء الإباضية فيه. (طالبي، 2013: ص 202-203)

وهذا المنحى تبناه عليان محمد عبد الفتاح في قوله (عبدالفتاح، 1994: ص 3-4): "وعلى الرغم من وضوح الجذور الخارجية للإباضية وأنها إحدى فرق الخوارج الرئيسية، إلا أن الكتاب الإباضيين المحدثين ينكرون صلة الإباضية بالخوارج ... مع العلم أن أسلافهم لا ينكرون هذه الصلة والأدلة كثيرة أهمها ما ورد في كتاب عبد الله بن أباض إلى الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان، وفي هذا الكتاب يشير ابن بالخوارج ويعتز بالانتماء إليهم."

على أن الإباضية يؤثرون نسبة فرقتهم إلى جابر بن زيد (السمائلي، 1979: ص 13-20) بدلا من عبد الله ابن أباض وفي ذلك يقول الشماخي (ت 928هـ): (الشماخي، 1992: ص 67) "ومنهم جابر بن زيد الأزدي رحمه الله، بحر العلم وسراج الدين أصل المذهب وأسه".

وقد نسب بعض العلماء الإباضيين إلى ابن أباض دورا ثانويا بالمقارنة مع جابر ابن زيد العماني، الذي يعتبر إمام أهل الدعوى ومؤسس فقههم ومذهبهم وكان عبد الله ابن أباض يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد. (خليفات، 1994: ص9)

وهذا ما أكده السمائلي في قوله (السمائلي، 1979: ص 20-29):"وكان الإباضية يصدرون عن رأيه في جميع أمورهم ... نعم المصدر أبو الشعثاء ونعم الصادر عبد الله بن أباض."

على أن عليان محمد عبد الفتاح ينفي أن يكون لجابر بن زيد أي دور في حركة الخوارج فيقول (عليان، 1994: ص 4): "لكن مصادرنا لا تشير إلى دور جابر بن زيد في حركة الخوارج في الوقت الذي يرد في بعضها أنه كان يتبرأ كان يشيعه الإباضية من أنه منهم."

ومن جملة هذه المصادر كتاب "تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني (ت 853ه) (العسقلاني، 1993: ص 38) حيث يروي أن: " داود بن أبي هند عن عزرة قال: دخلت على جابر بن زيد فقلت: إن هؤلاء القوم ينتحلونك- يعني الإباضية- قال: أبرأ إلى الله من ذلك".

3. الأصول العقائدية للإباضية:

الأصل الأول التوحيد: يعبر الإباضية عن التوحيد بمصطلح "جملة التوحيد" نظرا لتعبيرها عن كليات الإيمان، حيث تندرج تحتها مدلولات جزئياته. (طعيمة، 1986: ص88) وفي ذلك يقول البغدادي (ت 429ه/1037م) (البغدادي، 1988: ص 97): "إن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل."

وجاء في كتاب عقيدة التوحيد لابن جميع الإباضي (ت 340ه) أن (ابن جميع، 2003: ص48): "أقسام التوحيد على وجهين: قول وعمل، لا يسع جهل التوحيد ولا تركه، ولا يسع جهل الشرك ولا فعله".

وحسب المعتقد الإباضي إن التوحيد لا ينتفع به إلا المؤمن الموفى بدين الله تعالى ودين الله هو الإسلام والإسلام: قول وعمل. فالتوحيد هو افراد الرب سبحانه عن الخلق وجميع معانيهم. فحقيقة المعرفة به سبحانه أن تعلم أن الأشياء لا تشبهه ولا يشبهها في جميع الجهات في فعل ولا إسم ولا صفة ولا ذات ... وينفي عنه شبه الأشياء من جميع الجهات. فثبت بدليل الشرع وشاهد العقل أن الله لا يشبهه شيء من الأشياء في إسم ولا

صفة ولا ذات ولا فعل (أعشوت، 1988: ص38-40) لأن الله تعالى يقول:" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" سورة الشورى: الآية 11.

ففي الإباضية إقرار العبد بالشهادتين واعتقاد ما جاء به النبي محمد ﷺ من ربه من الأحكام والشرائع هو الحق، فقد أصبح من الموحدين ومن ثم تنتفي عنه عندهم أحكام المشركين ويحرم سفك دمه وغنيمة أمواله وسبي ذريته (طعيمة، 1986: ص87).

والكفر في اعتقادهم على وجهين: كفر نفاق (أي الخروج عن الطاعة) وكفر شرك (ابن جميع، 2003: ص46).

جاء في الجامع الصحيح في الحجة على من قال: أن الإيمان قول بلا عمل. قال الربيع بن حبيب بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال (الربيع، د.ت: ص201-202): "لعن الله المرجئة على لسان سبعين نبيا قبلي. قيل: وما المرجئه يا رسول الله؟ قال: الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل. فمن قال غير ذلك -يقول الربيع- فقد كفر بمقالته".

وخلاصة المذهب الإباضي في هذا الأصل من أصول العقيدة، أن موضوع الإيمان والإسلام أنهما مترادفان، حتى ولو اضطروا إلى القول بأنهما قد يختلفان ويتدخلان. إلا أنهما بمعنى واحد. (طعيمة، 1986: ص111)

وقد انقسم الإباضية في موضوع زيادة الإيمان ونقصانه إلى رأيين مختلفين: رأي يقول بالزيادة والنقصان ورأي يعترض على ذلك. (طعيمة، 1986: ص114-116)

- **الأصل الثاني الإيمان:**

قسم الإيمان على وجهين: توحيد وغير توحيد (ابن جميع، 2003: ص47-48) والإيمان والإسلام – في نظر الإباضية - لفظان مترادفان بمعنى واحد، وهو جميع ما أمر الله به، يقول عز من قائل: "فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ." سورة الذاريات: الآيتين 35-36. فأهملوا بذلك الدلالات اللغوية بين كل منهما، إذ في اللغة الإيمان هو التصديق، والإسلام هو الاستسلام والانقياد. ولكن الإباضية يقولون: إن المعنى الشرعي للإيمان هو الوفاء بالدين. فالعمل وفعل الواجبات هو الدين.

وعليه فالإيمان هو المعرفة والاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح. وأن المؤمن هو الموفى بدين الله تعالى. وكذا لا يكون مسلما حتى يقر بالتوحيد ويعمل بالفرائض لأن الإسلام لا يتم إلا بقول وعمل. (حسن، 2011: ص 211-214)

- الأصل الثالث صفات الله تعالى:

إن النصوص التي عالجت أصل الصفات الالهية أكدت صفات الكمال لله تعالى بأنها جوهره أي ذاته. ورد في موجز أبي عمار عبد الكافي (ت قبل 570ه) أن الله حكيم عليم حي قدير مريد، سميع بصير، وذهب إلى أنها صفات أزلية قديمة وليست محدثة بوجه ما من الوجوه، سواء في ذلك صفات الذات أم صفات الفعل. ثم شرح أسماء الله الحسنى فقال: معنى الله هو العلو والرحمن من الرحمة وهكذا (طالبي، 2013: ص 236) فصفات الله ليست زائدة على ذاته ولكنها عين ذاته. (صالح، 1976: ص51)

يقول علي يحي معمر أن: (يحي، د.ت: ص439) "الإباضية أولوا الكلمات الموهمة للتشبيه بما يؤدي المعنى ولا ينافي كمال الله. فقالوا عن العين أنها العلم والحفظ، وقالوا عن اليد أنها النعمة والقدرة ، وهكذا في جميع ما ورد في القرآن أو السنة النبوية الثابتة." وأمثلة ذلك ما ورد في الجامع الصحيح أن (الربيع، د.ت: ص238-239):"جابر بن زيد قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" سورة الحديد: الآية 04.

فقال: ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه لا على ما قال المنددون أن له أشباها وأنداداً تعالى الله على ذلك. واستوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه."

فاستواء الله على العرش يجب تأويله تأويلا مجازيا (صالح، 1976: ص 50) هذا وقد نتج عن تجريد الإباضية الذات الإلهية عن الصفات أن نفوا عنه أقسام الصفات التي ذهبوا إلى تقسيمها. فنفوا عنه تعالى الوجه والعين واليد واليمين والدنو والتجلي والنزول والاستواء، متأولين في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية معتقدين أن ما ورد من صفات خبرية في القرآن والسنة لا يقصد منه ظاهر اللفظ. (طعيمة، 1986: ص96)

- الأصل الرابع نفي الرؤية:

من المسائل التي دار حولها جدال طويل بين مفكري الإسلام على اختلاف فرقهم وطوائفهم مسألة رؤية الله تعالى. فهي من المسائل الهامة التي تتعلق بالذات الإلهية. وقد ذهب الخوارج –والإباضية واحدة من فرقها - إلى نفي رؤية الله تعالى بإطلاق. وذلك يرجع إلى اعمالهم العقل لا الشرع. (حسن، 2011: ص 149-153)

يقول أحمد الخليلي: "وذهب إلى استحالتها –أي الرؤية - في الدنيا والآخرة أصحابنا -الإباضية- وهو الثابت عندنا من سلف هذه الأمة" (الخليلي، 1409هـ: ص32).

وقال الربيع بن حبيب في مسنده (الربيع، د.ت: ص226): "بلغني جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه خرج ذات يوم فإذا برجل يدعو ربه شاخصا بصره إلى السماء، رافعا يده فوق رأسه. فقال له ابن عباس: أدع ربك بإصبعك اليمنى واسأل بكفك اليسرى واغضض بصرك وكف يدك، فإنك لن تراه ولن تناله. فقال الرجل: ولا في الآخرة. قال: ولا في الآخرة. فقال الرجل: فما وجه قول الله تعالى: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ." سورة القيامة: الآيتين 22-23.

قال ابن عباس: ألست تقرأ قوله تعالى: "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُو يُدْرِك الْأَبْصَار وَهُو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" سورة الأنعام: الآية 103. ثم قال ابن عباس: إن أولياء الله تنضر وجوههم يوم القيامة وهو الإشراق ثم ينظرون إلى ربهم متى يأذن لهم في دخول الجنة بعد الفراغ من الحساب ثم قال: "وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ "يعني كالحة "تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ" قال: يتوقعون العذاب بعد العذاب. وكذلك قوله: "إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" ينتظر أهل الجنة الثواب بعد الثواب والكرامة بعد الكرامة".

يقول الأزكوي سرحان وهو من علماء الإباضية (الأزكوي، 2013: ص322): "ناظرة إلى ثواب الله وعقابه. فالنظر غير الرؤية، فتأولوا النظر على غير تأويله. فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل".

- الأصل الخامس مرتكب الكبيرة والوعد والوعيد:

إن الخلاف بين الفرق بشأن هذه المسألة مرتبط بحقيقة الإيمان فالإباضية يقولون: إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه ايمان وإن كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك. وإن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها. (الأشعري، 1990: ص 189) واختلفوا في تخليد الفساق في النار، فقالت المعتزلة والخوارج بتخليدهم وإن من دخل النار لا يخرج منها (الأشعري، 1990: ص 167) محتجين في ذلك بقوله تعالى: "مَاهُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ". سورة المجادلة: الآية 14.

يوضح الجويني (ت478هـ) ذلك في قوله (الجويني، 2009: ص 298): "ذهبت الخوارج إلى أن من قارف ذنبا واحدا ولم يوفق للتوبة حبط عمله ومات مستوجبا للخلود في العذاب الأليم. وصاروا إلى أنه يتصف بكونه كافراً إذا اجترم ذنبا واحدا، وصارت الإباضية منهم إلى أنه يتصف بالكفر المأخوذ من كفران النعم ولا يتصف بالكفر الذي هو الشرك".

ويدين الإباضية بأن الله صادق في وعده ووعيده وبخلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار (حسن، 2011: ص 220) كما تشير إلى ذلك نصائح سير علماء عمان (عمان، 1988: ص92):" فتيقظوا وتفهموا لدينكم فتعلموا ولا تكونوا كالذين منوا أنفسهم الأماني الكاذبة والروايات الضالة وادعوا لأنفسهم الجنة على المعاصي، وقد نهاهم الله عن ذلك، وقد زعموا أن أمة محمد ﷺ لا تخلد في النار وأنه يأتي وقت تصفق أبوابها ليس فيها موحد".

-.الأصل السادس الشفاعة:

إن معتقد الإباضية في مسألة شفاعة النبي محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلفين ولا شفاعة لغيره من الأشقياء (أعشوت، 1988: ص77) لقوله تعالى: "وَاتَّقُوا يَوْمًا لَاتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا" سورة البقرة: الآية 48.. فمن قال إن الشفاعة من النبي لجميع المذنبين يقال له: إن الشفاعة من النبي لا تكون للمذنب الغوي ولا ينالها المجرم

الشقي، وإنما يدركها الصالح البر الراضي. (الأزكوي، 2013: ص328) ودليلهم في ذلك قوله تعالى: "وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ" سورة الأنبياء: الآية 28.

جاء التأكيد على ذلك في مسند الربيع (الربيع، د.ت: ص279): "ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي، لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار".

وتعتقد الإباضية أن الشفاعة تقع في المحشر قبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. (طعيمة، 1986: ص 126)

- الأصل السابع خلق القرآن:

اقترنت مسألة خلق القرآن بتاريخ المعتزلة أثاروها في العصر العباسي، وبرأيهم حاول الخليفة العباسي حمل الفقهاء المحدثين على القول بها. ونزل ببعض أولئك الفقهاء ما نزل من شدائد. وقد شغلت أفكار الناس في عصور ثلاثة من خلفاء بني عباس: المأمون المعتصم والواثق. وقالوا إن الكلام مخلوق لله سبحانه وتعالى، وأن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى (أبو زهرة، د.ت: ض141-142) وعلى هذا الأساس فالقرآن مخلوق لله، لم يكن ثم كان. (الاشعري، 1990: ص 256)

وعلماء الإباضية بالمغرب يقولون بخلق القرآن كأبي يعقوب يوسف الوارجلاني (ت 570هـ/1075م) وأبي عمار عبد الكافي(ت قبل570هـ/ 1075م) هذا الأخير وصف القرآن بقوله: "شيء من الأشياء، ولأنه كائن بعد أن لم يكن ودال على وحدانية الله ووجوده كسائر الأشياء الدالة عليه، وعلى ذلك فهو مخلوق محدث (طالبي، 2013: ص146).

كما أن للإباضية آراء مخالفة لغيرهم في مسائل أخرى كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

4. خاتمة:

سمحت هذه الوقفة مع مبادئ المذهب الإباضي بتسجيل الملاحظات الآتية نوردها كالآتي:

- إن المذهب الإباضي نشأ ضمن مناخ سياسي وعقدي تشكلت فيه أفكار ومعتقدات وممارسات الخوارج، باعتبار أن عبد الله بن أباض كان أحد قيادات الخوارج الأوائل.

إن علة التسمية "الإباضية" ترجع إلى تلك المواقف السياسية والكلامية التي عرف بها عبد الله بن أباض لاسيما خلال العهد الأموي.

- بما أن الإباضية فرقة خارجية، فقد قاربت في أصولها العقدية كثيرا من أقوال المعتزلة والجهمية: كالاستواء، نفي رؤية الله تعالى يوم القيامة، خلق القرآن، صفات الله تعالى ...

- إن الإباضية تأولوا آيات القرآن الكريم على غير تأويلها، واتجهت بالكثير من نصوصه اتجاها عقليا حدسيا من أجل خدمة مبادئها التي تدين بها بدل النهج الشرعي.

- يبقى المذهب الإباضي مذهبا معتدلا، فمخالفيه من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين، بل سُموا كفار نعمة لا كفار اعتقاد، وأن دماء مخالفيهم حرام ودارهم دار توحيد وإسلام إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي. كما أجازوا شهادة مخالفيهم ومناكحتهم وموارثتهم.

5- قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

الطبري أبو جعفر .(1971) .*تاريخ الرسل والملوك* .ط2، مصر :دار المعارف.

ابن جميع ,ا .ح .(2003) .*عقيدة التوحيد*) .ط3، تح .ع .بازين، غرداية :المطبعة العربية.

ابوزهرة ,م .(د.ت.) *تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد* .القاهرة :دار الفكر الغربي.

الأزكوي ,س .(2013) .*كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة* ج .2، ط ,2، تح .م .السليمي ح، عمان :وزارة التراث والثقافة.

الاشعري ,أ .ا .(1990) .*مقالات الإسلامين واختلاف المصلين* ، ج1 ،ط ,2، تح .م .الحميد ,بيروت ، المكتبة العصرية.

الأندلسي ,ا .ح. م (1982) ..*جمهرة أنساب العرب* ج 2،ط 5، تح .ع .هارون، القاهرة، دار المعارف.

البغدادي ,ع .ا .(1988) .*الفرق بين الفرق*، .تح .م .الخشت ,القاهرة :مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير.

الجويني .(2009) .*الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد*) .ط 1،القاهرة :مكتبة الثقافة الدينية.

الجيلالي ,ع .ا .(1965) .*تاريخ الجزائر العام، ج1 ، ط2*، الجزائر :مكتبة الشركة الجزائرية.

الحجاج، ,م .أ .(2004) .*صحيح مسلم* .ج1، تح .م .العظيم القاهرة :دار التقوى.

الحموي ياقوت .(1977) .,*معجم البلدان* .مج.5، بيروت ,دار صادر :دار صادر، بيروت.

الخليلي ,أ .(1409ه)ـ .*الحق الدامغ* .مسقط :سلطنة عمان.

الرازي. فخر الدين الدين .(1982) .*اعتقادات فرق المسلمين والمشركين* ، مراجعة .ع .النشار بيروت :دار الكتب العلمية.

الربيع ,ب .ح (د.ت) *الجامع الصحيح* .ج3، .بيروت :دار الفتح للطباعة والنشر.

السمائلي ,ا .س .(1979) .*إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعشاء*) .تح .س .كاشف، عمان :وزارة التراث القومي الثقافة.

الشماخي ,أ .ب .(1992) .*كتاب السير*، ج 1، ط2، تح .أ .السيابي ,عمان :وزارة التراث القومي والثقافة.

الشهرستاني أبو الفتاح محمد .(1992) .,*الملل والنحل* .ج1ط 2 ,تح .أ .محمد ,بيروت :دار الكتب العلمية.

المبرد أبو العباس .(2005) .,*أخبار الخوارج من كتاب الكامل في اللغة* .الاسكندرية :دار الفكر.

العسقلاني ,ابن .حجر .(1993) .*تهذيب التهذيب*، ج2، ط1، القاهرة :دار الكتاب الإسلامي.

العقل ,ن .ع .(1997) .*الدراسات في الأهواء والفرق البدع وموقف السلف منها*.، ط .1الرياض :مركز الدراسات والإعلام.

المراجع:

أعشوت ,ب .ب .(1988) .*دراسات اسلامية في الأصول الإباضية*) .ط 3، القاهرة :دار التضامن للطباعة.

بحاز ,ا .ب .(1993) .*الدولة الرستمية 296-160)هـ909-777/م (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية* .غرداية :جمعية التراث.

جولد ,ت .ا .(2013) .*العقيدة والشريعة في الإسلام*) .تح .م .الحق القاهرة ,المركز القومي للترجمة.

حسن ,م .م .(2011) .*الإباضية نشأتها وعقائدها*. ط ,1الأردن :الأهلية للنشر والتوزيع.

خليفات ,ع .(1994) .*الأصول التاريخية للفرقة الإباضية* .ط3، عمان :وزارة التراث القومي والثقافة.

خليفات ,ع .(2002) .*نشأة الحركة الإباضية*) .ط 1،عمان ,دار عمان .

دبوز ,م .ع .: .(2010) .*تاريخ المغرب الكبير*، .ج .2، الجزائر :مؤسسة تاوالت الثقافية.

سالم ,ا .م .(2017) .*العقود الفضية في أصول الإباضية*) .ط 2 .,عمان :وزارة التراث والثقافة.

سليمان ,م .أ .(1988) .*قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم* .دمشق :دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

صالح ,ب .(1976) .*الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى* ،ط .1، تونس :دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع.

طالبي ,ع .(2013) .*آراء الخوارج الكلامية، الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي* .ج1، .الجزائر :موفم للنشر.

طعيمة ,ص .(1986) .*الإباضية عقيدة ومذهبا* .بيروت :دار الجيل.

عثمان ,ح .ع .(2000) .*تطور الفكر التربوي الإباضية في الشمال الأفريقي من القرن الأول حتى القرن العاشر الهجري*) .ط 1,بيروت :المكتبة العصرية.

عرفان الحميد ,ع .(1967) .*دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية*) .ط 1 .,بغداد :مطبعة الإرشاد.

عليان ,م .ع .(1994) .*نشأة لحركة الإباضية في البصرة* .ط 1,دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.

عمان ,ع .و .(1988) .*السير والجوابات* .ج 2 .تح .س .كاشف ,عمان :وزارة التراث القومي والثقافة.

قوجة ,ا. (2014) .*تاريخ الإباضية الديني والسياسي من القرن الأول إلى القرن السادس هجري*،) .ط 1 , تونس :الدار التونسية للكتاب.

يحي ,م .ع) .د.ت .(*الإباضية بين الفرق الإسلامية* .مراجعة .ب .الشيخ ,غرداية :جمعية التراث.

المجلات:

عدنان ,ع .(2007) .جذور الإباضية في بلاد المغرب .*مجلة اتحاد الجامعات العربية ,مج4*، ع .(02)